جامعــة سيــدي محمــد بن عبـــد الله
كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر المهراز- فاس
شعبـــة اللغة الإسبانيــة وآدابها
مسلك الدراسات الإسبانيــة
الفصل الثاني

الترجمة والتلاقح الثقافي

إعداد: الدكتور إدريس الذهبي

السنة الجامعية:
1440-1441 هـ
2019 - 2020 م

مدخل عام:

عرفت اللغة العربية ظاهرة التعريب منذ القدم بفضل الغزو العسكري، والفتوحات، والتبادل التجاري، الشيء الذي أدى إلى التمازج والتأثر بالملفوظات، ودخلت العديد من المصطلحات بطريقة تلقائية، وعفوية إلى درجة أنه "لم تعد غريبة الوجه واللسان، وتعد بالآلاف دون أن نحس بغربتها"، يقول مصطفى الشهابي: "إن المصطلحات التي أدمجت في لساننا تلك الأيام هي آلاف مؤلفة من الألفاظ العربية [1]"

ومن بين اللغات التي احتك بها العرب سواء بحكم القرابة اللغوية أو بحكم الجوار، أوالعلاقات التاريخية كالفارسية، والهندية، واليونانية.

عرّف الجوهري التعريب بقوله: "الاسم الأعجمي هو أن تتفوه به العرب على منهاجها عربته العرب وأعربته، أي أن الإعراب والتعريب معناهما واحد، وهو الإبانة"[2]

يقول الجوالقي في مقدمة كتابه المعرب: "نذكر فيه ما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي ونطق به أشعارها وأخبارها ليعرف الدخيل من الصريح."[3]

سؤالان متلازمان. "إن ما يجب أن يوجد لا يحصل إلا بما تم وجوده. بيد أن المستقبل ليس هو الحاضر، ولا يمكن إطلاقا أن يكونه إلا في حالة التخلف المزمن الذي لا أمل في التغلب عليه. كما أن الحاضر ليس هو الماضي إلا عند الذين فقدوا معنى الحركة وفضيلتها، فانساقوا مع لذة الكسل المزيفة"[4].

والتعريب أيضا هو "إشارة إلى استخدام كلمات عربية، وجزئيا في نقل المصطلح الأجنبي الذي لا وجود له في العربية من قبل إلى اللغة العربية، أما صيغ الكلمة الأجنبية بصيغة عربية بكتابتها، أو بعبارة أدق برسمها بأحرف عربية، فلن أسميه تعريبا بل تخريبا، أو في أفضل الحالات تعريبا للشكل الصوتي للمعنى أو المضمون"[5].

1- خديجة الكور، إبراهيم الخطيب، الترجمة في المغرب أية وضعية؟ وأية استراتيجية؟، مرجع سابق، ص: 132.

2 - أبو العزم، الترجمة والتعريب، محمد الراضي، الترجمة والاصطلاح والتعريب، معهد الدراسات ، ص: 1999والأبحاث للتعريب، الرباط .

3- المرجع نفسه، ص86.

4- محمد عزيز الحبابي، تعدد القوامس وتكاملها يعكس تعدد أوجه الحضارة، الترجمة والتلاقح الحضاري، بيت آل محمد عزيز الحبابي، تمارة المغرب، ص106.

4 - حسن غزالة، مقالات في الترجمة والأسلوبية، دار العلم للملايين، بيروت. لبنان، - 106.، ص: 2004، يوليوز.1ط.

على هذا الأساس؛ اختلف حول تعريف التعريب قديما وحديثا، فالتعريب عند القدماء هو أن تخضع الألفاظ المعجمية في اللغة العربية إلى منهاجها، أي إلى أوزانها، وهذه القاعدة هي التي ميزت بين الألفاظ المعربة والدخيلة التي تحتفظ بنطقها، الشيء الذي رفضه المحدثون باعتبار هذه الصيغة الأخيرة (احتفاظ الكلمة بنطقها) فقط تخريبا للغة وليس تعريبا.

أما الترجمة فهي"إشارة إلى نقل المصطلح الأجنبي إلى العربية إما بحرفيته،أو مدلوله الظاهري، أو مدلوله الباطني، أو إيحاءاته، أووظيفته، أو معناه الأصلي في منشئه، أوفي سياقه، أو محدوديته، أو شموليته،أو تغريبه، أو تهريبه، أو تلطيفه، أو تهذيبه، أوالفروق عن ترجمته أساسا أي حذفه."[6]

انطلاقا من هذا التعريف يمكن اعتبار أن كل من الترجمة والتعريب يتداخلان فيما بينهما إلى درجة أنه يصعب التفريق بينهما، فالترجمة متضمنة للتعريب بصفتها حقلا أو مجالا معرفيا أو مهنيا عاما، وبالمقابل تنضوي الترجمة تحت التعريب كإحدى طرقه التي تتمثل فيما يلي:

1- **الرسم اللفظي:** وهو نسخ الكلمة حسب نطقها بحروف عربية، دون تغيير (ببيليوغرافيا، مونولوج، تلفزيون، ساتيليت).

2- **التطبيع:** وهو إخضاع الكلمة الأجنبية لقواعد صرف العربية مع تغيير في بعض حروفها لتوافق حروف العربية، وأيضا تطويع المصطلح الأجنبي ليصبح مستساغا وسهل النطق مثال أفلاطونية؛ طوباوي.

3- النقش: هو استنباط أوسك لمصطلحات عربية جديدة لم يسبق لها أن وجدت في العربية مفردة كانت أو مركبة. وتعتبر هذه الطريقة الركيزة الأساس لعملية التعريب برمتها، لأنها تجسد المعنى الحقيقي له باستخدام كلمات عربية صرفة لا تشوبها شائبة من أصلها الأجنبي.

وتتحقق هذه الطريقة في التعريب من خلال:

3-1- التوليد: ويدعى أيضا الحياد والاستنباط، وهو إنعاش كلمة عربية قديمة عن طريق الوضع بالمجاز من خلال استخدامها بمعنى آخر جديد يطلق على شيء أو موضوع جديد أو فكرة جديدة أو حركة محدثة، كصحيفة التي كانت تشير أساسا إلى ورقة للكتابة عليها وغدت

---

[6]- أبو العزم، الترجمة والتعريب، مرجع سابق.

الآن تعني صحافة، وأدب التي تعني الخلق الحميد، ثم أصبحت تعني فنا من أرقى فنون الكتابة.

3-2- الاشتقاق: مزدهر ازدهارا في اللغة العربية لدرجة أنها تسمى بلغة الاشتقاق والقياس ويعتبر من أغنى مصادر التعريب في اللغة العربية، ولعل أكبر عدد من الألفاظ اتبع فيها هذه الطريقة.

وأهم مصدر اشتقاقي استثمر على نطاق واسع حتى الثمالة في ترجمة المصطلحات الأدبية وتعريبها، ألا وهو المصدر الصناعي الذي يتدخل مع صيغة النسبة المنتهية ب"ية". ولقد تعددت الأمثلة، وتعدت الحد المنطقي والمقبول إلى درجة الفوضى مما أكسبها صفة الرطانة المقيتة، ولعل أسوء استعمال لهذا المصدر،وأخطره، وأضعفه في الوقت نفسه هو استخدام "يّة" لتعريب أي كلمة أو مصطلح يجهله المترجم في العربية، أو يتقاعس عن البحث عن ترجمة له أو تعريب. والأغرب من ذلك أنه أصبحت الموضة في تعريب بعض المصطلحات عند العديد من المترجمين والمتخصصين، والذي زاد الطين بلة، هو أنهم تفننوا في هذه الموضة، فاختلفوا في حروف كتابتها في العربية مثال الرومانسية، والرومانطقية، والرومانتكية...تعددت الموضات والجسد الأجنبي واحد، وليست هذا التعدد عربيا كما هي حال علم اللغة واللغويات، والألسنية، واللسانيات لتغيير الحكم عليها.

كان بإمكاننا أن نعرب رومانسية برقة مشاعر، أو شاعرية، أو عاطفية، أو وجدانية وكلاسيكية تقليدية، وسريالية لا منطقية....

3-3- المستجدات والمستحدثات: وهي المصطلحات العربية الجديدة التي لم توجد في اللغة من قبل، أو المصطلحات التي تتكون من كلمات جديدة لم تكن موجودة من قبل، فهي تمثل عماد التعريب وسنامه، ومثالنا في ذلك: "النصية والتناص والتمثيل، ومصطلحاته، والمسرح والمصطلحات الخاصة به، ومدارس الآداب والفن التشكيلي، والحركات، والإتجاهات الفكرية والنفسية وغيرها كثيرا"[7].

لكن عملية التعريب لم تكن خارجة عن السياق اللغوي العربي إلى هذا الحد الكبير المذكور أعلاه إلا في حالات نادرة، حيث إنها تخضع للنسق والقواعد المتعارف عليها

7- عبد الغني أبو العزم، الترجمة والتعريب، مرجع سابق، ص: 85.

بالسليقة، هذا ما يوضحه سيبويه إذ أنه يستقرئ ولا يضيف مما تصرف به العرب إزاء الألفاظ الأعجمية في ضوء قاعدتين أساسيتين:

- التغيير ويتحدد في:

- إبدال حرف مكان حرف آخر من الحروف العربية.

- زيادة حرف ملائم.

- حذف حرف متناف مع النطق العربي.

الإلحاق: يتمثل في الحفاظ على اللفظ الأعجمي في حالة توافقه مع الوزن، أو مناظرته للفظ عربي، وهكذا يندرج مصطلح التعريب ضمن"منهجية إنتاج المصطلحات المتفق عليها فيما يسمى بالوسائل اللغوية والمتجلية في وصف كيفية توليد العجمي الجديد عن طريق: الاشتقاق، أو التعريب، أو المجاز، أو النحت، مع إعطاء الأفضلية للمصطلح التراثي إن وجد"[8]

فالتعريب إذن حركة سواء تعلق الأمر بلغات من ذات الفصيلة الواحدة، أو بلغات المحيط، وهو بذلك ترجمة ذاتية تلقائية، عفوية يفرضها من جهة، الاختلاط والمشابهة أو التطابق، ومن جهة أخرى، الحاجة للتعبير عن مواد أو أشياء أصبحت متوفرة، وليس لها مقابل في لغة الأصل، فتدخل في السياق اللغوي حسب السليقة وتعتبر بذلك كل الألفاظ المعربة رصيدا لغويا عربيا بنائيا.

وبالرغم من العلاقة الحميمية التي تجمع بين الترجمة والتعريب، إلا أن هناك اختلاف، يكمن في الطبيعة المنهجية لكل منهما. أيضا فيما يسمى بالأهداف، "إذ أن التعريب مجاله وفضاؤه ينحصر في نقل المصطلح وإخضاعه للسليقة والأوزان العربية، بينما الترجمة تنحصر في نقل المؤلفات الأعجمية والعلمية من لغة إلى أخرى. وتخضع إلى الفهم، والذوق، والقدرة على استيعاب المعنى لتحقيق التواصل، والتحكم في دلالات المصطلحات وهو ما يعطيها الصبغة العلمية"[9].

وهكذا؛ فالتعريب عملية تخضع إلى مقاييس ومعايير وفق منهجية لتصبح أداة عمل بين المشتغلين والمتخصصين في مجال نقل المصطلحات إلى اللغة العربية، ونظريتها.

8- خديجة الكور، إبراهيم الخطيب، الترجمة في المغرب أية وضعية؟ وأية استراتيجية؟، مرجع سابق،ص: 131.

9- أبو العزم،الترجمة والتعريب، مرجع سابق، ص: 90.

الترجمة تعتمد على الذوق كمقياس إضافة إلى التكوين الثقافي، فهذه الأخيرة تهتم بنقل النصوص استنادا إلى قواعد محددة، في حين يعمل التعريب على إخضاع المصطلحات لسليقة اللغة وأوزانها وفق منهجية تسعى إلى توحيد الرؤية وفي ضوء الانشغال اللغوي.

إن كلا من الترجمة والتعريب عمليتان متلازمتان، ويمكن اعتبارهما وجهان لعملة واحدة، يهدفان إلى التواصل والانفتاح على الثقافات المختلفة، فنحن عندما نقوم بنقل نص من لغة إلى أخرى من حيث الشكل أو المضمون، فنحن بشكل أو بآخر نعرب ذلك النص سواء من حيث وزنه وصيغته أو نظامه الصوتي.

وعليه "فإن المنحى الثقافي في الدراسات المتعلقة بالترجمة يمكن اعتباره جزءا من المنحى الثقافي الذي كان يحتل مكانته في العلوم الإنسانية عامة في أواخر الثمانينات وبداية التسعينات، وقد أدى إلى تغيير شكل العديد من المواضيع التقليدية"[10].

• ***آفاق الترجمة فى الوطن العربى:***

نعني بالترجمة البعد المعرفي الذي يتحقق بواسطة الكتاب، فوظائف التواصل هنا متعددة منها التواصل القائم بين اللغات والثقافات، والتواصل بواسطة الكتابة، والمستويان متداخلان، لأن الترجمة تصل إلى قرائها بفضل الكتب والكتابة، وبالرغم من الالتباس الذي قد يحمل بين طيات الكتب المترجمة، إلا أنه في حد ذاته يعد مشروعا يخضع لمعايير معرفية ثقافية، كما أن له متطلبات مادية(صناعية وتجارية) ترتبط بما ترتبط به أي دورة إنتاجية، وإذا وضعنا هذا الالتباس في سياق المتطلبات الصعبة كتراجع القراءة ومحدودية القدرة الشرائية، فإننا سنعرف بأن الترجمة تخضع لما يخضع له الكتاب في إنتاجه واستهلاكه من عراقيل ومثبطات مع قضايا إضافية خاصة بالجوانب القانونية والمعرفية، وقد تنطلق عملية الترجمة من مبادرات فردية، إلا أنها مثلها في ذلك مثل الكتاب، شأن المجتمع ككل "إذ لا توجد نهضة ثقافية أو حضارية

10- سوزان باسنت، الثقافة والترجمة، مقالات في النقد والترجمة، الملتقى العربي الدولي لدعم المقاومة، ص17.

قديما أوحديثا تعطي أهمية خاصة لاستيعاب التراث الإنساني من مختلف اللغات"[11] الأمر إذن يتعلق بسياسة وتخطيط تعكس الوعي المجتمعي بضرورة الانفتاح على الآخر خاصة حين تكون في حاجة للمعرفة التي ينتجها، وإذا كانت الترجمة وسيلة للتواصل والمعرفة، وتملك الوعي النقدي بالذات والآخر، فإنها أيضا وسيلة للإشعاع الحضاري، ويعد الكاتب سفيرا فعالا يتحدى الزمان والمكان، ويحاور القارئ في لغته الأصل أو في اللغة الهدف.

إن الترجمة باعتبارها فعل تواصلي بامتياز، تعاني من شتى حالات الفوضى، وذلك على المستويين القطري والقومي، فلا أحد يعلم ماذا يجري في القطر الآخر، بل في القطر نفسه، وذلك لغياب الكشف الدوري الرسمي للترجمة، وما على المرء إذا يوما ما أراد ترجمة عمل ما، عليه أولا أن يبحث ويسأل ويستفسر في كل مكان ومجال حتى يتأكد من أن العمل المطلوب لم تجر ترجمته من قبل أو أنه في طور الترجمة في مكان آخر على يدي مترجم آخر سبقه. ومهما اتسع نطاق بحثه واستفساره، فإنه قد يفشل في إعطائه الجواب الصحيح ليتفاجأ بعد حين أن الكتاب الذي تعب على ترجمته، وبذل فيه الجهد والوقت إنما هو مترجم فعلا في مكان آخر.

لا يتوفر الوطن العربي برمته على" أية خطة قطرية متكاملة للترجمة، وكل ما هو موجود إنما هو رغبات، أو قرارات سريعة تمليها إما حاجات الدولة في إبداعاته، أو حاجة المؤسسة الخاصة للربح"[12]

"وإذا كان المطلوب منا، تحت سقف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن نضع خطة قومية للترجمة، فإننا أيضا يجب أن نأمل أن تعكس هذه الخطة القومية نفسها على المستويات الإقليمية، فتظهر خطط قطرية تنسجم مع هذه الخطة القومية وتستوحيها وتسترشدها من جهة، وتكملها من جهة أخرى."[13]

11- خديجة الكور، إبراهيم الخطيب، الترجمة في المغرب أية وضعية؟ وأية استراتيجية؟، مرجع سابق،ص: 196.

12- مؤلف، في الأدب والتأليف والترجمة في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 1993، بيروت، ص172.

13- خديجة الكور ،إبراهيم الخطيب، الترجمة في المغرب أية وضعية؟ وأية استراتيجية؟، مرجع سابق، ص: 196.

إن المواطن العربي عامة والمثقف خاصة يساهم بطريقة أو بأخرى في النهوض بالترجمة إلى مستوى أفضل، وذلك يظهر من خلال تعطشه للاطلاع على كتابات الأجانب، وكذا انفتاحه على الحضارات الأخرى، وبالسرعة القصوى في اختصار المسافات والحدود بين العرب وغير العرب. إما عبر وسائل الثقافة والإعلام والتسلية، أو نتيجة الاتصال المكاني في السفر والسياحة، أو بارتفاع نسبة المتعلمين والجامعيين وخريجي المعاهد العليا.

لكن في واقع الحال؛ إذا ما قمنا بمقارنة الترجمة في المغرب أو العالم العربي ككل مع حركة الترجمة والنشر في العالم سنصاب بخيبة عميقة، فالإحصاءات الدولية تؤكد أن الدول المتقدمة تحتكر أعلى نسبة في الاستهلاك والإنتاج الثقافي، في حين لا تستطيع الدورة الإنتاجية الثقافية في المغرب أن تضمن استمراريتها في ظل العقبات المتعددة التي تمت الإشارة إليها سابقا. وهذا ما يستدعي الانطلاق في نهضة شاملة من أجل أن تحتل المعرفة والقراءة وضعها الطبيعي في التنمية الشاملة التي يسعى إليها المجتمع.

- **تركيب:**

إن حركة الترجمة في الوطن العربي نشيطة نسبيا، وإن كانت تعاني من عدم البرمجة والتخطيط، ومن عدم التنسيق لا قطريا ولا قوميا، وهي تنشط أكثر في الأقطار التي تنفتح أكثر على العالم غير العربي وتنشط أقل في أطراف الوطن العربي وبقاعه النائية حيث الاحتكاك مع الثقافات الأخرى أضعف.